ثقافة
10 «سنة في الجحيم»: تدوين المسكوت عنه

منوعات
12 ميسون عزام: قضية فلسطين قرصنها الانتهازيون

مدارات
18 الحزبية في العراق: تخلف في وعي حجم الكارثة

رأي
19 هل نسي العرب نكسة حزيران؟

القدس العربي

AL-QUDS AL-ARABI

alquds@alquds.co.uk www.alquds.co.uk

السنة الثانية والعشرون ـ العدد 6533 الخميس 10 حزيران (يونيو) 2010 ـ 27 جمادى الثاني 1431هـ

يومية ـ سياسية ـ مستقلة

AL-Quds Al-Arabi Volume 22 - Issue 6533 Thursday 10 June 2010

■ تُكشف إشراقة كل شمس عن مخططات جديدة تشنها إسرائيل ضد هذه الدولة العربية أو تلك، وتستفرد بها واحدة واحدة، فمن تحريض دول منبع النيل للتحكم بمياسورة مياه مصر والسودان بغية تعطيش الشعب المصري والسوداني وتجويعهم وإفلاسهم، إلى الدراسات التي أعدها الباحثان الإسرائيليان ألون ليفين ويوفال بستان التي كُشفت النقاب عنها مؤخراً مجلة «سيكور ميموفاد» العبرية المتخصصة في الشؤون السياسية والإستراتيجية، وذلك لتأجيج صراع ديني إسلامي مسيحي بين شعوب ودول منبع النيل؛ أثيوبيا وكينيا وأوغندا ورواندا وبوروندي من جهة، وبين مصر والسودان والصومال، إلى الإستمرار في تهديد أمن وإستقرار جميع الدول العربية إن كان بشكل مباشر أو غير مباشر، أمام هذه المخاطر الكبيرة التي تجابه الأمة العربية لا يسع المواطن العربي إلاّ أن يطرح السؤال الشهير، ما العمل؟ والجواب يأتينا بثلاث كلمات، وحدة وادي النيل.

قال المرحوم أحمد الشقيري في كتابه «علم واحد وعشرون نجمة» الذي صدر عام 1977 والذي يستعرض فيه قضية الوحدة العربية من نواحيها التاريخية والسياسية والدستورية وحوافزها القومية، بأن مصر والسودان، اللذين يضمهما حوض النيل، كانا بلداً واحداً عبر تاريخهما الطويل، ولقد جمع النيل الخالد بينهما بروابط مشتركة في الحضارة والتاريخ، بالإضافة إلى مقومات الوحدة الأخرى، والعلاقات التي تربط بين شطري الوادي ترجع إلى عصور قديمة في التاريخ، فإن أول ما يطلعنا به التاريخ أن أقدم كيان وحدوي عرفه الإنسان، كان في وادي النيل، أحد مواطن العرب العريقة العتيقة، والتاريخ هنا هو ما دوّنه المؤرخون القدامى وما كشفته الآثار والمقابر الهياكل والأحجار.

وبأن أكبر علماء القانون في هذا العصر يذكرون بأن السودان في عصوره الأولى، وفي عهود الفرس واليونان والبطالسة والرومان والعرب والأتراك، لم ينفصل عن مصر بل كان يكوّن معه بلداً واحداً.

وقد شرح المؤرخ المصري الكبير الدكتور سليم حسن في المجلّد الثاني من كتاب «مصر القديمة» فصول مستفيضة عن حضارة تلك المملكة المتحدة ومآثرها، إذ شرح كيف أصبحت دولة عظمى بسطت سلطانها على الوجهين القبلي والشمالي من وادي النيل ثم تجاوزت إلى بلاد النوبة في الجنوب، وإلى سيناء وفلسطين وفينيقيا (سورية ولبنان) في الشمال. وأفاض في ذكر أجهزة الحكومة المتنوعة من قضائية وإدارية ومالية وعسكرية وملاحية وزراعية وصناعية، بالإضافة إلى النشاطات العلمية والرياضية والطبية والفلكية والكتابة والآداب والقصص، فقد كانت لهذه الدولة العربية المتحدة، أساطيل تمخر في البحر الأبيض المتوسط، وكذلك في البحر الأحمر

إعادة وحدة مصر والسودان هو الجواب والحل

علي القرق*

الذي أطلق عليه المؤرخون البحر العربي.

وعلى خلاف حال القيود والحدود العربية في القرن الواحد والعشرين، فقد كان المواطنون يتمتعون بحرية كاملة في السفر والإقامة والعمل والتجارة في جميع أرجاء الدولة العربية المتحدة من بلاد النوبة إلى ديار الشام.

وبأن وحدة الوادي تؤيدّها وثائق دولية، فقد صدرت عدة فرمانات من قبل الدولة العثمانية التي كانت صاحبة السيادة على القطرين تنص على اعتبار مديريات النوبة ودارفور وكردفان وسنار وميناءي سواكن ومصوع، وجنوباً حتى خط الاستواء، كل ذلك يؤلف مع مصر كياناً سياسياً واحداً.

وتؤلف هذه الوثائق الدولية بذاتها مرجعاً تاريخياً وقانونياً يثبت بما لا يرقى إليه الشك أن وادي النيل بقطريه مصر والسودان، هما بلد واحد يؤلف وحدة سياسية دولية، كأيّة وحدة دولية قائمة في العصر الحديث.

واعتبر دستور مصر الذي صدر عام 1880م، ومعه قانون الانتخاب، السودان جزءا لا يتجزأ من مصر. وقد تمثلت وحدة النيل في مظاهر متعددة منها وحدة الجيش والإدارة ويمين الولاء ووحدة العلم ووحدة النقد.

وقد استمر هذا الوضع الوحدوي، إلى أن استطاع الإستعمار البريطاني من فصل السودان عن مصر والسيطرة على شؤونه. وكانت مصر نفسها في ذلك العهد تحت الحماية البريطانية.

ورغماً عن ذلك، فإن الإستعمار البريطاني لم يستطع أن يحكم السودان إلا باسم مصر، عن طريق الحكم الثنائي. وكان ذلك بذاته دليلاً إضافياً على الوحدة القائمة في وادي النيل بين القطرَين الشقيقين، مصر والسودان، وإن شئت، السودان ومصر.

ولكن، ما إن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، حتى اشتعلت الحركة الوطنية المصرية بقيادة الزعيم الشعبي الأكبر سعد زغلول. وأصبحت «وحدة وادي النيل» هي الشغل الشاغل للشعب في مصر إلى جانب قضية الجلاء والإستقلال التام. وتاججت المشاعر الوطنية في أرجاء القطرين الشقيقين. ولم يسع بريطانيا إزاء الحركة الوطنية المصرية إلا إلغاء الحماية على مصر والإعتراف باستقلالها وسيادتها، ولكن مع تحفظات كان من أهمها بقاء أمر السودان على حاله تحت الحكم البريطاني المباشر. وكانت المبادرة الوطنية الأولى التي قام بها سعد زغلول هي الشرارة التي أشعلت الحركة الوطنية في مصر، وكان السودان أهم أسباب الثورة المصرية، حيث إجتاحت البلاد ثورة عارمة عمّت الأقاليم في مصر والسودان، وأصبح شعار وحدة وادي النيل هتاف الشعب في المظاهرات يصيحون به حول دار المندوب السامي في القاهرة، وفي وجه القوات البريطانية التي كانت معسكرة في وسط القاهرة.

وفي خريف 1924م، سافر سعد زغلول إلى لندن ليبدأ مفاوضات مع بريطانيا حول الأمور العالقة بين البلدين، وكانت قضية السودان في رأس المطالب المصرية. وأدّى الصلف البريطاني إلى فشل المفاوضات، فعاد سعد زغلول إلى القاهرة ليدعو الشعب المصري بخطبه النارية البليغة إلى مواصلة النضال لتوحيد مصر السودان، رضي الإنكليز أم أبوا، وهو يشرح أسباب فشل المفاوضات بكلمته المأثورة «لقد دُعينا إلى الإنتحار فأبينا أن ننتحر». وهكذا كانت الوحدة بين مصر والسودان حياة لوادي النيل، وكان الإنفصال انتحاراً لوادي النيل.

ويسرد المرحوم الشقيري نضال قادة مصر والسودان والأحزاب المصرية والسودانية الدؤوب ضد الإستعمار البريطاني لإعادة وحدة وادي النيل الذي كان مطلباً جماعياً، ليس فيه ناشز ولا شاذ.

ورغماً عن هذا الإجماع الشعبي في شطري الوادي، على الوحدة الشاملة لا فرق بين متطرفين أو معتدلين، ولا بين اليمين واليسار، فقد ظلّت بريطانيا ماضية في حكم السودان بصورة مباشرة، توطّد فيه دعائم الإنفصال، وتنشىء الحكم الذاتي تحت شعارات حلوة وبراقة مثل «سودنة السودان» وإعطاء شعب السودان الحق في «تقرير المصير»، وكان حق تقرير المصير، الذي حرمته عن شعب فلسطين، هو الحجة التي تتذرع بها بريطانيا لتوكيد الإنفصال بين مصر والسودان.

ويقول الشقيري رحمه الله بأن وحدة النيل منذ أقدم عصور التاريخ في يوم الإنفصال، تضع مسؤولية كبرى على عاتق الطلائع الوطنية في كل من مصر والسودان بأن يناضلوا لإقامة جمهورية وادي النيل، بدلاً من جمهورية مصر وجمهورية السودان. ولقد ارتحل الإستعمار البريطاني الذي كان إحدى العقبات الرئيسية التي كانت تحول دون وحدة وادي النيل، وإن بقاء التجزئة بين شطري الوادي هو عار في تاريخ الشعبين الشقيقين، تتحمل مسؤوليته القيادات السياسية والفكرية والنقابية والصحفية في كلا البلدين.

إن وحدة وادي النيل ليست حكم مصر للسودان، أو السودان لمصر، إنها وحدة الشعب الواحد في الوطن الواحد، تقوم فيه المواطنة بين أبناء الوادي على أساس قدرة المواطن على خدمة الوطن.

ويقول الشقيري، لو أراد المواطن العربي أن يستعرض أحوال الشعوب في العالم، لا يجد شعبين جديرين بالوحدة، ومحتاجين إليها حاجة الصحراء إلى الماء أكثر من مصر والسودان، وهو ما تثبته الوقائع والخطر المحدق الذي يواجههما حالياً. فالبلدان يكمّل أحدهما الآخر في مضمار التنمية الإقتصادية والإجتماعية، ولا سبيل لحل مشاكلهما، وما أكثرها، إلاّ بالوحدة. فمصر غنية بالخبرات والطاقات البشرية، والسودان غني بمصادره الطبيعية التي لا حد لها، وتوحيد هذا وذاك يجعل من وادي النيل مصدر خير ورفاه لأهله وللأمة العربية، بل للعالم أجمع. إن الأمة العربية تستورد الكثير من المواد الغذائية من أقطار الأرض كافة، ووحدة الوادي كفيلة بأن تطعم الأمة العربية.

إن ما يؤلم كل مواطن عربي شريف هو هذا التجاهل والإهمال الجاري لموضوع وحدة وادي النيل الذي من المفروض أن يأخذ مكانه في أعلى الأولويات، وأن يكون من أهم مواضيع الساعة وعلى جميع المستويات الشعبية والحزبية والنقابية والسياسية والإعلامية لما يمثله العداء والتحريض الإسرائيلي من خطر بمستقبل مصر والسودان والأجيال القادمة.

إن إعادة وحدة الشعب والوطن الواحد في وادي النيل، هو الجواب والحل الأمثل لهذا الخطر المحدق، وهو المفتاح لوحدة عربية أكبر وأشمل، تحل جميع مشاكلهم الأمنية والإقتصادية والإجتماعية والتنموية، توفر لهم ولأجيالهم الرخاء والإزدهار والإستقرار الذي تنعم به أمم أخرى أقامت أواصر الوحدة فيما بينها مثل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وروسيا وألمانيا والصين وكندا وأستراليا وغيرها والتي لو بقيت مجزأة إلى دول ودويلات لما أصبحت ما هي عليه من رخاء وتقدم، فلو كانت الولايات المتحدة الأمريكية مجزأة، كما هو الوطن العربي، إلى خمسين دولة وكندا إلى ثلاث عشرة وأستراليا إلى سبع والصين إلى عشرات الدول، لكانت كما هو حال دولنا، دول متخلفة. ولكن وحدة العرب لن تسعى إليها وتحققها سوى حكومات شرعية نابعة من إرادة وإختيار حر ديمقراطي للشعب العربي، تمثل طموحاته وتحافظ على مصالحه ومصالح أجياله. حكومات تعمل على تفكيك ما أقامته إتفاقية سايكس بيكو وليس حكومات تعمل على تكريس وتعزيز فرقة العرب وقطع أواصرهم.

---

* سفير فلسطيني سابق